

حكاية حب!



www.balagh.com

قد تنتهي أقوى العلاقات الإنسانية، وأجملها وأطولها، لكن علاقة المرء الممتعة بالكتاب تبقى وتدوم، حكاية حب كبير! وقد لا نقترب من شغف المشاهير، من الفلاسفة والمفكرين في فعل القراءة، مهما ادعينا ذلك. فقط.. لو تدرك الأجيال المعاصرة تلك الممتعة ولو قليلاً!

في رسالته إلى الآنسة شانتيبي، كتب غوستاف فلوبير «اقرئي كي تحب». ويقول إيتالو كاليفينو «القراءة تعني الاقتراب من شيء هو قيد المصرورة».

أما آلبرتو ما نغوين فإنه يرى «أن القراءة ضرورية للحياة كالتنفس»، وأن تعلم القراءة بصوت مرتفع، أو القراءة بصمت، هي القدرة على تخزين كنوز خاصة من المفردات في الذاكرة، وهذه مقدرات مدهشة، حصلنا عليها إلى حد بعيد بطريقة لا يمكن تفسيرها».

أما بالنسبة إلى ليف شتراوس فإنه يرى أن «النظم التي نتعلم القراءة بواسطتها، تقرر المساحات الحرة، والحدود التي تفتح فيها مقدراتنا على القراءة. والقراءة في كل مجتمع متعلم، نوع من المبادرة في مباشرة العمل، ومرحلة انتقال حافلة بالطقس والمواصلة البدائية، إلى ما هو أرفع وأسمى».

في المجتمع اليهودي قديماً، كان المعلم يجلس الطفل على حضنه، ويعرض عليه لوحات من الإردوائز يحتوي

على الأبجدية العبرية، وكان المعلم يتلو كل كلمة على الطفل، أو آية من آيات الكتاب المقدس، وكان الطفل يكررها بعده، ثم كان الطفل يلعق هذا اللوح المطلي بالشهد، وكأنه يريد إدخال هذه الكلمات إلى جوفه.

ويشهد تاريخ آثار الفن المسيحي على أهمية القراءة عن الكتابة، وهناك العديد من الصور التي تظهر مريم العذراء وولدها ممسكة بكتاب يقرأ فيه يسوع الطفل، ولا توجد صورة يظهر فيها المسيح، أو أمه وهما يتعلمان الكتابة، كما أورد آلبرتو ما نغوين.

إضافة إلى ما فرضه الملك الأسباني الفونسو الحكيم على المعلمين، وهو نقل معارفهم إلى الطلبة بصورة جيدة، بقراءة الكتب عليهم، وعليهم - أي المعلمين - مواصلة القراءة حتى نهاية الكتاب، ولا يجب إرسال من ينوب عنهم لإتمام القراءة تحت أي ظرف، إلا إذا أرادوا أن يشرّفوه بهذه المهمة، حتى لو ألمت بالمعلم وعكة صحية حالت دون استكمال القراءة، عليه أن يتم القراءة.

ويعلق سقراط بأن «الكتب الموجودة على رفوفي لا تعرفني إلى أن افتحها، ومع هذا فإنني مقتنع بأنها تخاطبني بالاسم، إنها تنتظر تعليقاتنا وآرائنا. إن أفلاطون يحسب لي حسابا كقارئ، تماما كما يفعله أي كتاب آخر، حتى تلك الكتب التي لن أقرأها على الإطلاق».

الدلائل على ضرورة القراءة وأهميتها ليس لها حصر، ولا يود المرء الاستشهاد بحواضر العرب الثقافية على مر العصور، وكنوزهم من مخطوطات ابن الهيثم وابن رشد والطبرى وإلى آخرين غيرهم، ولكن مهارتهم في الكتابة فاقت مهارات القراءة لديهم، فهي لم تخلف المعرفة لهذه الأمة، بقدر ما جلبت الحسد وربما الأحقاد.

وتبقى حكاية الأمير الفارسي، الذي كان يصطحب مكتبه المؤلفة من 117000 كتاب على ظهر فاقلة من الجمال مصنفة بحسب الأحرف الأبجدية، كأبدع علاقة مع القراءة وأخلصها، إنما هل تراها كذلك، مقارنة بشغف القراءة لدى آلبرتو ما نغوين عبر تاريخ القراءة؟! لعلها. وإن ذلت فلتكن فاكهة الختام، وكل عيد وأنتم تتمتعون بما تحبون.